الدرس التاسع والعشرون

زكريا

الأصحاحات 9–11

4. إعلانان نبويان إلهيان: المستقبل المسيّاني العظيم والتحقيق الكامل للحكم الإلهي (9–14)

دعا القسم الأول من السفر إلى توبة إسرائيل. وقدم القسم المتضمن للرؤى الليلية تشجيعاً وتحذيرات من أجل حثّ إسرائيل على التوبة والتحرك قدماً في برنامج الله للأمة. وكشف القسم الثالث (الأصحاحات 7–8) أن استجابة إسرائيل لم تكن كافية، وأعطى تشجيعاً آخر يتمثل في ما يمكن أن تتوقعه البقية الأمينة. وفي هذا القسم الرئيسي الرابع يوضح النبي تفاصيل عن البقية التي ستحصل على البركات. وفضلاً عن ذلك، سترتبط البركات بالمسيّا إثر عملية تنقية للأمة عن طريق تأديب الله للشعوب الفاجرة وغضبه عليها.

أ. الإعلان الإلهي الأول: مجيء المسيّا ورفضه (9: 1–11: 17)

"في بداية هذا القسم (الإصحاحات 9–11)، تشكّل الدينونة، التي ستدمَّر بموجبها القوى العالمية الأممية المهيمنة على إسرائيل والإنعام على إسرائيل بالقوة للتغلب على أعدائها، الفكرة الأساسية للإعلان النبوي ومركز جاذبية الوصف النبوي."[1] غير أن زكريا يصوّر رفض المسيّا عند مجيئه. ويأتي المستقبل المؤلم للأمة (الإصحاحات 12–14) في إثر رفضها "للراعي الصالح".

1. مجيء الرب للدفاع عن إسرائيل وجلب السلام للأمم (9: 1–17)

أ. دمار الأمم وحفظ صهيون (9: 1–8)

هذا الأصحاح صعب الفهم، مع تناول معظمه لدفاع الرب عن إسرائيل ودينونته للأمم الأخرى. يعتقد بعض الباحثين أن الآيات 1: 8 مكتوبة في ضوء زحف الإسكندر العظيم إلى الجنوب بعد أن هزم الفرس في سهل إسّوس عام 333ق م. لكن من الممكن جداً أن هذا الأصحاح يتحدث عن أحداث مستقبلية (خاصة الآيات 1–17؛ لاحظ 16أ!). ومهما يكن الأمر، فإن الله يعطي وعداً بأن الرب سيدافع عن أورشليم ضدّ غازٍ أجنبي: "وأحُلُّ (أعسكر) حول بيتي بسبب الجيش" (9: 8).

[1] David Baron, *The Visions and Prophecies of Zechariah* (Grand Rapids, MI: Kregel Publications, 1918), 285.

ب. مجيء ملك السلام، ملك إسرائيل (9: 9–10)

وتنطلق فجأة صيحة حاملة أخباراً سارّةً في الآيتين 9–10 تدعو إلى الابتهاج. هاتان آيتان نبويتان "مباشرتان": "هوذا ملك يأتي إليك. . . . ويتكلم بالسلام للأمم." وعلى الرغم من أن مسيّا إسرائيل وملكها سيأتي في ثوب التواضع، إلاّ أنه سيحقق السلام بين كل الأمم. كان مستقبل إسرائيل مرتبطاً بشخص المسيّا الذي سيجلب الخلاص، لا لإسرائيل فحسب، بل لكل أمم الأرض أيضاً. فيا له من حافز لرجوع إسرائيل إلى الله والاتكال عليه! لنلاحظ أن هاتين الآيتين تحتويان على لمحات لمجيئي المسيح الأول والثاني. فالآية التاسعة تتطلع إلى المجيء الأول، بينما تتطلع الآية العاشرة إلى المجيء الثاني. وقد سبق أن ذُكرت فكرة مجيء الرب إلى شعبه في أورشليم في زكريا 2: 10. إن ما لم يكن واضحاً من منظور العهد القديم هو أن الرب سيأتي مرّتين. فهو يأتي مرّتين، لأنه سيُرفض في مجيئه الأول بصفته الراعي الصالح لشعبه (على الرغم من أن مقاصد الله لا تفشل– فقد قصد الله أن يقوم المسيّا بالتكفير عن خطايا كل البشر).

تقول الآية التاسعة إن الرب سيأتي راكباً على حمار (انظر يوحنا 12: 12–16؛ متى 21: 1–11)، وهذه علامة مناسبة لتواضعه. وكان دانيال قد كشف *زمن* مجيء المسيّا؛ أمّا زكريا 9: 9 فتكشف *أسلوب* مجيئه. كانت نية الله من وراء إرسال المسيّا هي أن يؤسس *السلام والبر* بين الشعوب إذ يتولى حكمه الملكي (انظر إشعياء 2: 1–4). ومن هنا فإن زكريا 9: 10 تتطلع إلى ذلك الوقت الذي فيه "يتكلم بالسلام للأمم، وسلطانه من البحر إلى البحر" (قارن مزمور 72: 8–11). ولسوء حظ إسرائيل، فإن وقت السلام هذا لن يتزامن مع المجيء الأول للمسيّا، وذلك بسبب رفضهم له. إذْ لم تستطع إسرائيل في عماها الروحي أن تميّز مسيّاها عندما جاء.

لكن بدلاً من أن يستجيب الرب يسوع بالغضب لمثل هذا الرفض، فقد استجاب بعطف وحنان ورحمة كما نرى في لوقا 19: 41–44:

> وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً: "إنك لو علمت أنت أيضاً، حتى في يومك هذا، ما هو لسلامك! ولكن الآن قد أُخفي عن عينيك. فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة، ويحدقون بك من كل جهة، ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفي زمان افتقادك."

غير أن إسرائيل ستلجأ في نهاية الأمر في المستقبل إلى المسيّا يسوع بالإيمان وترحّب بعودته قائلة: "مباركٌ الآتي باسم الرب" (متّى 23: 37–39).

ج. الوعد بتخليص المسيّا لإسرائيل (9: 11–17)

يرسم هذا القسم صورة لله كمحارب ينزل للقتال من أجل شعبه وتحريرهم. ويتوقّع هذا على الأرجح النصر المسيّاني المسجل في الأصحاح 14 (على الرغم من أن بعض الباحثين يرون فيه تلميحاً إلى كفاح المكابيين في القرن الثاني ق م). ويجب أن يسبق هذا التلخيص أو التحرير *السلام* الذي تنبأت به زكريا 9: 10. لكن النصر مؤكد: "ويخلّصُهُم الرب إلههم في ذلك اليوم" (الآية 16). وتجد الآية 16 تحقيقها في الأصحاح 14، بينما تصوّر الآية 17 البركة التي ستلي تحرير وتخليص إسرائيل.

2. رد الله للأمة مستقبلاً (10: 1–12)

يطرح هذا الأصحاح *فكرة الراعي*، وهي فكرة سيتكرر ظهورها في بقية السفر. وإن قادة الأمة رعاة لرعيّة الله، أي شعبه، والرب هو *الراعي العظيم*. ويبدأ الأصحاح بدعوة لطلب أمطار ربيعية من يهوه. وهذا المطر حرفي يشير في نفس الوقت إلى بركات روحية ومادّية للأمة (انظر لاويين 26: 3–4؛ تثنية 11: 13–15؛ 28: 1–12). ويأتي هذا بالمقابلة مع الاتكال على الأوثان (الذي يجلب الحزن – الآية2)، وهو لسوء الحظ وضعٌ حاول أن يفرضه على الأمة بعض قادتها. وسيبين المجيء الثاني (الآيتان 5–6) لشعبه أنه هو وحده مصدر عون إسرائيل. "سيبين لهم أن المصائب التي حلّت بهم في الماضي كانت نتيجة اتكالهم على الأوثان وتورّطهم في ممارسات العبادة الوثنية."[2]

أ. استياء الله من قادة الأمة (10: 1–3أ)

[2] Unger, 174.

كان قادة إسرائيل يُشبَّهون بالرعاة، إذ كانت مسؤوليتهم هي أن يرشدوا شعبهم ويشرفوا على مصلحتهم وخيرهم. وكانت أهمّ مسؤولية من مسؤولياتهم هي توجيه قلوب الشعب للإله الحقيقي. لكنهم كانوا متساهلين في هذا، بل إنهم كانوا يشاركون في عبادة الأوثان والممارسات الوثنية.

(1) توبيخ على الالتجاء إلى الآلهة الوثنية (الآية 1)

في الديانة الكنعانية كان البعل يُعبد بصفته إله العاصفة للشعوب السامية في الشرق الأدنى القديم. وكان يسمّى في بعض الأماكن "هَدَد". وكان يعتقد أنه مسؤول عن إرسال الأمطار الضرورية جداً لمواسم الحصاد.

إله العاصفة هدَد يقف على ظهر ثور. وتمثل الشوكتان ذات الرؤوس البرق

فكان على الشعب أن يلجأوا إلى الرب بدلاً من الإله الوثني، البعل، للحصول على بركة الأمطار.

(2) توبيخ على السعي لإرشاد خارق للطبيعة من خلال الممارسات الوثنية والسحرية (2أ) لجأ قادة الشعب إلى *الأنبياء الكذبة وممارسي السحر* من أجل الحصول على الإرشاد في اتخاذ القرارات. وتشير *الترافيم* إلى بيت الأوثان (تكوين 31: 19)، بينما يشير *العرّافون* إلى الذين يتنبأون بالمستقبل. ويعني تعبير "يعزّون بالباطل" أنهم يعطون آمالاً كاذبة. والفكرة هنا هي أن على قادة الأمة أن يتكلوا على إعلان كلمة الله وأن يطيعوا الربّ، لا أن يتكلوا على مصادر إرشاد أخرى (تثنية 18: 9–14).

(3) النتائج (2ب–3أ)

حين تقول كلمة الله: "لذلك رحلوا (هاموا) كغنم، ذلّوا إذ ليس راعٍ،" فإن هذا يعني أن شعب الأرض يعانون لأن القادة لم يكونوا يوجّهونهم في طريق الرب (2ب) . كان الناس في أمَس الحاجة إلى راعٍ صالح! ومن هنا، وعد الله بمعاقبة قادة الأمة الباطلين (3أ) .

ب. سيدافع الرب في نهاية الأمر عن شعبه ويقودهم إلى النصر (10: 3ب–7)

على الرغم من أن الجيل الحالي قد يعاني من حكام غير صالحين، إلاّ أن الله سيقود شعبه في نهاية المطاف إلى الانتصار على أولئك الذين يسعون إلى تدميرهم. وسيتم التحقيق الكامل لهذا الأمر في المجيء الثاني ليسوع المسيح (لاحظ الآية 6– تتطلع هذه المصطلحات إلى التحرير الأخروي لإسرائيل؛ انظر حزقيال 37: 15–23) . ويبدو أن هذا يتوقع دفاع المسيا عن الأمة، وهو ما سيتناوله الوحي في الأصحاح 14 (انظر الآية 14: 3 على وجه الخصوص) .

جـ. لمّ شمل إسرائيل الأخروي (10: 8–12)

اضطهد أشّور ومصر شعب الله المختار قديماً، فكانتا تثيران في نفس الشعب ذكريات العبودية والسبي. غير أن الله كان قد خطط منذ زمن طويل لردّ الأمة، وقد سبق أن أعلن عن هذا في تثنية 30: 1–10. ويعد الرب بأن يجمع الأمة وأن "يختن قلوبهم" (تثنية 30: 3–6) بعد توبة قومية شاملة (تثنية 30: 1–2) . ويتحدث "ختن القلوب" عن تفعيل العهد الجديد مع إسرائيل. وفي ضوء فقرات أخرى من العهد القديم، فإن هذا الجمع سيحدث في المجيء الثاني للمسيح. كما سيتضمن هذا تطهير الشعب وسكب الروح القدس عليهم (انظر حزقيال 36: 22–28؛ 39: 25–29) .

ولدى مقارنة جميع إعلانات العهد القديم نجد أنه قبل أن يصبح ردّ الأمة أمراً ممكناً، فإن عليهم أن يلجأوا إلى الرب في توبة كاملة. وستتضمن توبتهم اعترافهم بأن يسوع هو حقّاً المسيّا! وعندما يحدث هذا، سيجمع الرب اليهود المتبقين في جميع أنحاء العالم ويعيدهم إلى أرضهم. وسيدخلون في *العهد الجديد* (إذ سيسكب الروح القدس عليهم وسيطهَّرون وينالون قلباً جديداً) .

3. رفض الملك –الراعي المسيّاني (11: 1–17)

يبدأ الفصل بمقابلة ملحوظة مع الأصحاحين السابقين. إذ تأتي فجأة صورة حزينة للخطية والعقاب لتحل محل صورة البركة والازدهار في الأصحاحين 9–10. "فقبل تحقيق نبوّات البركة نجد صورة لارتداد إسرائيل ورفضهم للراعي الصالح، مسيحهم، مع ما يتبع ذلك من افتقاد الله لهم بعقاب رهيب."[3] وبالمقابلة مع رعاة (حكام) إسرائيل غير الأبرار، فإن الله في ذات يومٍ سيقيم "حاكماً – راعياً صالحاً" للأمة. غير أن الأمر المذهل هو أن الأمة سترفضه. وهذا هو سبب المعاناة الرهيبة للأمة.

أ. مرثاة (11: 1–3)

اشتهر لبنان وباشان بغابات الأرز والبلوط. وإنها لخسارة عظيمة أن نراها تتحول إلى دخان. "عندئذ ستخرب كبرياؤها" (الآية 3). إن الهدف من هذا القسم غير واضح، لكن ربما كان يتطلع إلى المصيبة الآتية على شعب الله، إسرائيل. في الأصحاح السابق كانت 10: 3ب–12 قد تطلّعت إلى نصر إسرائيل في نهاية المطاف وجمعهم (وهي نغمة إيجابية). لكن قبل أن يتحقق هذا، يجب أن تعاني إسرائيل معاناة فظيعة بسبب رفضهم "للراعي الصالح." ونتيجة لذلك، سيبتلى *القطيع* (انظر 11: 11). ويتحدث رمز *النار* عن الدينونة، وتستخدم هذه الصورة في زكريا 13: 9 للحديث عن البلوى التي ستمر بها إسرائيل أثناء الضيقة العظيمة.

ب. نبوءة رفض "الراعي الصالح" (11: 4–14)

في هذا القسم من السفر سيُطلب من النبي زكريا أن "يلعب – يمثل" دور راعٍ صالح. وسيُرفض زكريا بصفته راعياً صالحاً للأمة. غير أن القصد من هذا الدور هو أن يمثّل ما سيحدث للمسيّا عندما يأتي. ويشرح هذا سبب عدم قيام المسيّا الذي يأتي راكباً على حمار بتأسيس السلام بين الأمم مباشرة (9: 10). وكان قد سبق أن تناول النبي إشعياء موضوع رفض المسيّا في سلسلة من "ترانيم العبد" في الأصحاحات 42 و49 و50 و53 (انظر إشعياء 49: 5–7؛ 53: 1–3 على نحو خاص).

(1) مأمورية زكريا (الآية 4)

(2) شجب تصرفات الرعاة الأشرار (5–6)

كان النبي قد تحدث عن إهمال الحكام –الرعاة للرعية وكيف أنهم قادوهم إلى حافة الكارثة. ويُتبع الرفض المتضمن للراعي الصالح بالإعلان الجاد أن الرب سيسمح بأن يكون شعبه موضوع إساءة وظلم لملوك آخرين: "لأني لا أشفق بعد على سكان الأرض (فلسطين)" (الآية 6).

[3] Feinberg, 197.

(3) طاعة زكريا للمأمورية الموكلة إليه (7–8أ)

على الرغم من أن زكريا عرف أن الأمة كانت تسير في طريق الكارثة (إذ كانوا "غنم الذبح")، إلا انه كان أميناً في تنفيذ المهمة الموكلة إليه من الرب. وتُستخدَم العصوان كرمز لدينونة الله للأمة في الآيات 8ب–11.

(4) رفض زكريا، "الراعي الصالح" (8ب–14)

(أ) رفض الأمة له (8ب)

"وضاقت نفسي بهم، وكرهتني (وفي ترجمة NIV "مقتتني") أيضاً نفسُهم." تصوّر هذه الآية رفض الأمة لمسيحها.

(ب) عواقب رفض "الراعي الصالح" (9–11)

يرفض بنو إسرائيل الراعي الصالح، ونتيجة لذلك يقسم أنه لن *يرعاهم*، وأن يرفع يده الحامية عنهم (انظر متى 23: 13، 33–39). وعلى الأرجح أن هذا يتطلع إلى الفترة التالية لصلب يسوع عندما احتل الرومان فلسطين. وقبل عام 70ب م فرض الرومان حصاراً على أورشليم ودمّروا المدينة والهيكل في نهاية الأمر. ويقول المؤرخ يوسيفوس إن الحصار بلغ من الحدة أن لجأ الناس إلى أكل لحوم بعضهم بعضاً.[4]

(جـ) مكافأة زكريا على خدمته (12–13)

بما أن زكريا خدم كراعٍ (رغم أنه رُفض)، فإنه يجب الاتفاق على قيمة خدمته. فكان الجواب هو ثلاثين شاقلاً فضياً (وهذا هو ثمن عبد حسب خروج 21: 32). غير أنه يلقى بالمال للفخاري في بيت الرب (الآية 13). وقد تحقق هذا النموذج في العهد الجديد حين أعطي يهوذا ثلاثين قطعة فضية (متى 26: 14–16)، لكنه ألقاها بعد ذلك في مقدس الهيكل (متّى 27: 3–10).[5] لنلاحظ أن لكلتا الفقرتين نمطاً مشتركاً من الارتداد والرفض: (1) الثمن البخس، (2) رفضه من قبل الشعب، (3) إعادة المال في شعورٍ بالقرف.

(د) تفويت فرصة الوحدة القومية (14)

---

[4] Flavius Josephus, *The wars of the Jews* VI, iii. 3-4.

[5] توجد مشكلة في متّى 27: 9–10 في أن متّى ينسب النبوة إلى إرميا بدلاً من زكريا، ويتمثل حل هذه المشكلة في إدراكنا أن إرميا أيضاً يتناول موضوع حقل الفخاري. وهكذا فإن متّى يقتبس زكريا 11: 12–13 (أي أن تعابيره مستقاة في معظمها من زكريا) لكنها على ما يبدو تشير إلى إرميا 19: 1–3. غير أنه ينسب شاهد العهد القديم إلى إرميا لأن إرميا هو *النبي الرئيسي*. ويقول كارسون، "لكن التوازي المركزي بين الشاهدين أمر مذهل: ففي كلتا الحالتين يرفض راعي يهوه من قبل شعب إسرائيل ويثمّن بثمن عبد. وفي كلتا الحالتين يرمى بالمال في الهيكل وينتهي بشراء شيء يلوّث". ("Mathew" in *The Expositor's Bible Commentary,* 8:564).

جـ. مسؤولية زكريا الثانية كراعٍ باطل (11: 15–17)

(1) المأمورية (15–16)

يطلب الله مرة أخرى من زكريا أن يلعب – يمثّل دوراً، لكنه يطلب منه هذه المرة أن يلعب – يمثل دور راعٍ أحمق باطل. وهو يصوّر هنا قائداً أنانياً فاسداً وجشعاً. ينتج عن رفض الراعي الصالح حجب رضى الله عن شعبه وقطع توحّده معهم، والآلام والمعاناة التي سيمر بها الشعب في نهاية الأمر على يد الراعي الباطل الذي سيقيمه يهوه (الآية 16).

(2) التوعد بالويل للراعي الباطل (17)

يشير هذا "الراعي الباطل" الذي يسيء معاملة القطيع على الأرجح إلى *ضد المسيح* الذي سيظهر في أواخر الأزمنة. وستدخل إسرائيل في عهد معه (دانيال 9: 27)، لكنه سيخونها. وسيقوم بابتلاء الشعب اليهودي مدة ثلاث سنوات ونصف (انظر دانيال 7: 23–25؛ 11: 36–39؛ 2 تسالونيكي 2: 3–4).

ملخّص

ينظر الأصحاحان 9–10 إلى وقت تحرير ورد لإسرائيل (وهو موضوع صار مألوفاً لدينا من الأصحاحات الأولى للسفر). غير أنه قبل أن تكون هنالك إمكانية لتحقيق التحرير والرد، لا بد أن تمر إسرائيل أولاً بوقت معاناة (11: 6، 9، 15–17) بسبب رفضها "للراعي الصالح" الذي أقامه الله. إذ يفقد مستقبل إسرائيل المجيد لمعانه بسبب ارتدادها وتأديبها الناتج. وسيتم تناول "وقت المعاناة" هذا بالتفصيل في الأصحاحات 12–14.

درس لحياتنا

يصرخ زكريا، "لذلك رحلوا (هام الشعب) كغنم، ذلّوا إذ ليس راعٍ" (10: 2). كان قادة الأمة في زمن زكريا غير أوفياء للرب، وكانوا يهملون مسؤولياتهم في رعاية "خراف" الله، أي شعبه. كانت حاجة الشعب إلى راعٍ ماسّة، لكن لم يكن هنالك من يهتم بهم ! إن الاهتمام "بالخراف" مسألة هامة في عيني الله. فهو يعرف أن شعبه يحتاجون إلى رعاية وإرشاد. وهو يقيم *رعاة* يشرفون على الشعب. فهل دعاك الله إلى أن تكون "راعياً" على شعبه؟ ليست هذه مهمة سهلة دائماً، لكنها مهمة هامة جداً. وبدون القادة، سيعاني جسد المسيح، أي الكنيسة، وسيكون هنالك عدم نضج، ونقص في عملية تهيئة المؤمنين وتحريكهم في خدمة الرب. وسيهيمون، وستتضرر قضية المسيح. ربما أُصبت بالإحباط في الدعوة إلى محاولة قيادة الآخرين ورعايتهم. فهذا أمر يمكن أن يحدث بسهولة. لكن الأمانة للمسؤولية أمر يستحق الألم والتحديات التي قد نمر بها. قال بطرس،

> "ارعوا رعية الله التي بينكم نظّاراً (ممارسين الإشراف)، لا عن اضطرار بل بالاختيار، ولا لربح قبيح بل بنشاط، ولا كمن يسود على الأنصبة (لا كمن يريد التحكم بمن هم موضوعون تحت رعايته)، بل صائرين أمثلة للرعية. ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى" (ا بطرس 5: 2–4).

لقد وعد رئيس رعاتنا بأنه سيأتي ثانية. فهل سيحمل إليك "إكليل المجد الذي لا يبلى"؟ كن راعياً أميناً، وسيمنحك يسوع هذا الإكليل !